(الكلمات) لا تتعلق بالمسمّى لشيء يرجع إليه، بل لأمر آخر هو القصد والإرادة والتواضع الاجتماعي[١].

وبعد قرون طويلة صاغ اللساني الشهير فرديناند دوسوسير نظرية حول هذه العلاقة، ترى أن ما يربط الدال بالمدلول ليس سوى اصطلاح غير معلّل، أي اعتباطي، (L'arbitraire). ويقرُّ دوسوسير بأنه ليس المبدع الأول لهذه النظرية، بل لقد ألَحَّ وايتني (Whitney) كما يقول على طابع العلامات الاعتباطي، لكنَّه لم يكمل الشوط حتى النهاية، إذ لم يدرك أنَّ صفة الاعتباطية هذه تفصل جذرياً اللغة عن كلِّ المؤسسات البشرية الأخرى. ويضيف دوسوسير عارفاً بما توصَّل إليه: "إنَّ مبدأ اعتباطية العلامة لا يردُّ ولا يدحض، ولكن غالباً ما يكون اكتشاف حقيقة ما أكثر سهولة من أن نوليه المكانة اللائقة به. ثم إنّ المبدأ الذي أخذنا به آنفاً يستبدُّ بألسنية اللغة قاطبة، ونتائجه لا تعدُّ ولا تُحصى.. إننا بهذا الاكتشاف إنّما نكتشف خطورة هذا المبدأ"[٢].

ويفرّق دوسوسير بين اللغة والمؤسسات البشرية الأخرى استناداً إلى صفة الاعتباطية هذه، ويقول: "إنَّ المؤسسات البشرية الأخرى كالعادات والقوانين.. إلخ مبنية جميعاً على علاقات الأشياء الطبيعية وذلك بدرجات مختلفة، فهي تحتوي تناسباً ضرورياً بين الوسائل المستخدمة والغايات المتعمدة، حتى إنَّ النمط الذي يحدِّد ثيابنا وأزياءنا ليس اعتباطياً بشكل تام، إذ لا يمكننا الابتعاد إلى درجة أقصى من الشروط التي يمليها الجسم البشري. إنَّ اللغة على نقيض ذلك ليست محدَّدة بشيء في اختيار وسائلها، إذ لا ترى مانعاً من ربط فكرة ما بتتال صوتي ما آخر"[٣].

---

(١) انظر: كتابنا المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٨.